

المحاضرة 04 قصيدة التفعيلة

1-القطيعة والصراع مع الموروث:

تعتبر قصيدة التفعيلة من بين ثلاثة أشكال هيمنت على الساحة الشعرية الجزائرية ابتداءً من مرحلة ما بعد الاستقلال، وهي الشعر العمودي، الشعر الحر، الشعر المنثور، يقول محمد ناصر: "لا نكاد نصل سنة 1975 وهي السنة التي انعقد فيها المؤتمر العاشر للأدباء العرب ومهرجان الشعر الثاني عشر بالجزائر، حتى تظهر فئة من الشعراء الشباب الذين يكتبون شعر التفعيلة، ويمكن القول عن هذه الفئة من الشباب أنهم أكثر تمثلاً لتقنيات الشعر الحر وأوفى تعاملًا معه ممن سبقوهم من جيل الرواد".

هؤلاء الشعراء لم يكتبوا القصيدة العمودية، إنما بدأوا فنياً مع التيار التجديدي. ثم ازداد عددهم واتخذوا من مجلة "آمال" منبراً لهم.

لقد أعلن شعراء التفعيلة القطيعة مع الموروث الشعري العمودي، وركبوا موجة العداء لكل ما هو تقليدي إلى حد التطرف والمبالغة في التهم، "بينما رفعوا من قيمة الشعر الحر حتى تلك النماذج التي أخفقت أن تستثير اهتمام النقاد أو الجمهور، وذهب بعضهم إلى حد اتهام نماذج الشعر العمودي بأنها تمثل إساءة للأدب الجزائري"¹.

¹ المرجع نفسه، ص 182.

والواضح أنه اتهام يفتقر إلى الدقة والموضوعية النقدية، في حين وعلى النقيض من ذلك فإن، "بعض خصوم الشعر الحر يتهمون أصحابه بالمروق عن الدين والقومية مُستعدين عليهم بذلك السلطات والجماهير". على الرغم من إبداع شعراء الاتجاه التقليدي وكتابتهم لقصائد حرة أثبتت حيويتها في معالجة الواقع.

وفي هذا الصدد يرى محمد زتيلي أن "الجيل السابق قد ساهم هو الآخر، حتى لا نلقي كل العبء على الشباب، في تمييع جوهر الصراع، وذلك بمماراتهم في أسلوبهم اللانقدي". والواضح أن هذا العداء لا يخدم الحركة الشعرية، فلقد كان من واجب الاتجاهين العمودي والتجديدي التركيز على جوهر العملية الإبداعية.

2- الخصائص الفنية لشعراء قصيدة التفعيلة:

- على مستوى اللغة الشعرية:

انتقلت اللغة الشعرية في الشعر الجديد من الخطابية والمباشرة إلى لغة دلالية تأملية، تحتاج إلى أفق تأويلي واسع، ولما كانت القصيدة الجديدة قصيدة رؤيا بالدرجة الأولى، فسياقات التجديد "إنما تتأسس ابتداء من استعمالات جديدة للغة، ملائمة للرؤية الشعرية".

وتتباين استعمالات الشعراء للغة في هذا السياق، فالشاعر عبد الله حمادي مثلاً يميل إلى استخدام اللغة اللاعقلانية التي لا تنقاد إلا للتأويل، كما تتداخل مع التجريد وعوالم اللامعقول.

-على مستوى الموسيقى الشعرية:

لقد أصبح الشاعر الجزائري المعاصر في قصيدة التفعيلة لا يخضع موسيقاه لأي اعتبار من الاعتبارات التقليدية المعروفة وزنا وقافية، "وهو بهذا العمل يتنرد كُلية على وحدة البيت التي كانت أساسا لبناء القصيدة العمودية، بل ويتنرد على المفهوم الذي كان شعراء القصيدة الحرة يخضعون له في التجارب الرائدة".

حيث أصبح الشاعر يركز أكثر على الجملة الشعرية بشكل أقرب إلى قصيدة النثر، وبالتالي تحطيم الوقفة العروضية والدالية كما يرى محمد ناصر. ومن أهم شعراء هذا النمط، الشاعر عمر أزراج، عز الدين ميهوبي...

-على مستوى الصورة الشعرية:

يؤكد الناقد "محمد ناصر" من خلال دراسته لنماذج من الصور الشعرية الجديدة، لشعراء مثل: عمر أزراج، عبد العالي رزايقي... أنها تخدم فكرة واحدة هي التعبير عن الإحساس بالضياح، والشعور بالاغتراب والعبث والعدمية واللاجدوى. إنها صور تركز على نفسية صاحبها، ومقارنة بين كُتاب الشعر الجديد في الجزائر نجد الصور الشعرية عند جيل الرواد تتسم بالبساطة والوضوح، لأنها تكون تسلسلا للصور المستخرجة من الذاكرة يمكن أن تفهم عقليا.

بينما أصبحت عند جيل الشباب أشبه بالحلم مترسبة في شعور الشاعر، وهو يبوح بها كما هي دون اعتبار لتعارضها مع معطيات الواقع.

مراجع المحاضرة:

-محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية 1925-1975.

-حسن فتح الباب: شعر الشباب في الجزائر بين الواقع والآفاق.

-محمد زتيلي: فواصل في الحركة الأدبية والفكرية الجزائرية.

-الطاهر يحياوي: تشكلات الشعر الجزائري الحديث.